

١٣ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فرديريك نيتشه

ترجمة الاستاذ فليكس فارس

سنة الأفعى

واستسلم زارا للكرى يوما تحت شجرة التين، وكان الحر شديداً فستر وجهه بساعده فأنت أفعى ولسعت في عنقه فصرخ متألماً وانتفض محذقاً بالأفعى فعرفت عينيه وتملك لتصرف، فقال لها زارا: - لا تذهبي قبل أن أقدم لك شكرى، لأنك نيهتني في الزمن المناسب لأقوم بسفر بعيد، فأجابت الأفعى وفي صوتها غنة الأسى: - بل سفرك قريب فزعاني قاتل

وابتسم زارا وقال: وهل لزاعف الأفعى أن يقتل تينياً؟ خذى سمك، إني أعيدك إليك فلست من الغنى على ما يسمح لك بتقديمه هدية لى.

وسارعت الأفعى الى الالتفاف حول عنق زارا تلحس جرحه. وقص زارا هذه الحادثة يوماً على أتباعه فقالوا له: وما هو المغزى الأدي لهذه القصة، فأجاب: - إن أهل الصلاح والعدل يدعوننى هداماً للبادى الأديه قصصى لا تتفق وهذه المبادئ.

إذا كان لكم عدو فلا تقابلوا شره بالخير لأنه يستصغر بذلك نفسه، بل أكدوا له أنه أحسن بعمله اليكم، والأجدر بكم ألا تحرقوا أحداً، تظاهروا بالغضب، وإذا وجهت اللعنة اليكم، فلا يسرفي أن تمنحوا البركة، إن ما يسرفي هو ألا تأبوا اللعن أنتم أيضاً، وإذا ما أنزلت بكم مظلة كبيرة فبادلوا المعتدى مثلها وارفقوها بخمس مظالم صغرى، لأنه ما من مشهد أشد قبحاً من مشهد من لا يخضع إلا للظلم.

إن اقسام المظالم بالتساوى إنما هو مساواة بالحق، فهل كنتم تعرفون هذا من قبل؟ من يقدر على إرهاب الناس بظلمه فعليه أن يحتل هو الظلم أيضاً.

لئن ينتقم الانسان قليلاً، فذلك أدنى إلى المعروف وليس

من الانسانية أن يرفع المظلوم عن الانتقام. إني لأنقر من اقتصاصكم إذا لم يكن عبارة عن حق تؤدونه للمعتدى، وإن من يسند الخطأ الى نفسه لأنبل ممن يعلنون في كل آن أن الحق في جانبهم، وأخص من هؤلاء، من كانوا حقيقة على صواب. ان أغنياء الروح لا يفعلون هذا.

إني أكره عدالتكم الباردة، فإن في عيون قضاتكم ازورار الجلاذ ولمعان سيفه. فأين العدالة تلح في عينها الصفاء. أوجدوا لى الحب الذى لا يكتفى بحمل كل أنواع العقاب، بل يحمل أيضاً جميع الخطايا.

أوجدوا لى العدل الذى يبرى. الجميع ليحكم على الانسان الذى يدين.

أتريدون أن أذهب الى أبعد مما قلت فأعلن لكم أن الكذب نفسه يصبح محبة للانسانية في نفس من يتوق الى إقامة العدل.

ولكن هل بوسعى أن أقيم العدل بكل إخلاص. وكيف يمكننى أن أتوصل الى اعطاء كل ذى حق حقه. اذن، لا كفتين يان أعطى أصحاب الحق حقي الخاص.

وأخيراً، حاذروا ظلم المنفرد، اذ ليس بوسعه أن ينسى وأن يبادل الظالمين ظلماً، وما المنفرد الا بئر عميقة يسهل على من يشاء أن يلقى فيها حجراً. ولكن من يقدر أن يستخرج هذا الحجر اذا بلغ قعر البئر السحيق؟

احترسوا من اهانة المنفرد، واذا أتم حفرتموه فاجهزوا عليه بقتله.

هكذا تكلم زارا...

الفصل الثاني

الطفل حامل المرأة

ورجع زارا الى الجبال، الى عزلة كهفه ليحتجب عن الناس كالزراع التي بذوره في أنلام أرضه وبات يتوقع نبتها، ولكنه ما لبث أن حنت جوارحه الى أحبابه اذ كان عليه أن يمنحهم بعد كثيراً من الهبات وأصعب ما يلقى المحب اضطراره الى قبض يده اجابة لداعى محبته وتفاديا للنتة في عطائه.

ومرت على المنفرد الشهور والأعوام وحكته تزداد نموا فتزيده ألماً باتساع آفاقها.

يحتذبها في مسيره ليقطع معها السيول ويتراى وياها في لجة البحر
انتي أتبع مسالك لم أعرفها من قبل وألمت يانا ، جديدا ،
بعد أن اتعبتني اللهجات القديمة التي ترهق كل المبدعين وقدامت
على فكري أن يقتني رواشم النعال المقطعة

مامن لغة إلا وأراها بطيئة تقصر عن مجارة ياني
سأقفز الى صوتك أيتها العاصفة فألهبك أنت أيضاً بسوط سخرتني
أريد أن أقطع أجواء البحار كهتفة مسرة وحبور الى أن
أستقر على الجزائر السعيدة حيث يقيم أحبابي ، وبينهم أعدائي
أيضاً ، لشد ما أحب الآن جميع من يتسنى لي أن أوجه إليهم
الكلام . وسيكون لهؤلاء الأعداء أيضاً قسطهم في إيجاد غبطتي
عندما أنتفض لاعتلاء أشد جيادي جموحاً لا أجد لي معيناً
أصدق من رحي متكأً أرتفع عليه

هو رحي أهدد به أعدائي ، ولكم يستحقون ثنائى إذا
ماتمكنت من طرح هذا الرمح من يدي :
لقد طال اصطبار غيومي بين قهقهة الرعود وقد آن لي أن
أرشق الأعماق بقذائف بردى .

إن صدرى سيتعاطم بانتفاخه حتى يزفر بالعاصفة الهائلة
على الشائحات وهكذا سأفرج عنه
فان سعادتي وحررتي سيندفعان اندفاع العواصف ولكنني
أتمنى لو يحسب أعدائي أن ما يزجر فوق رؤسهم إنما هو روح
الشر لا روح سعادة وحرية

وأتم أيضاً أيها الصحاب سيتولاكم الرعب عندما تنزل عليكم
حكمتي الكاسرة ولعلكم تولون هارين منها كما يهرب الأعداء
ليت لي أن أستدعيكم إلى بحنين شبابة الرعاة ، وليت تتعلم
لبؤة حكمتي أن تزار بنبرات العطف والحنان ، فلطالما وردنا سوريا
من مناهل العرفان ، ولكن حكمتي الوحشية تمخضت بأخر
صغارها في الجبال السحيقة بين الجلامد الجرداء ، وهي الآن تطوف
بجنونها الصحارى القاحلة مفتتحة على المروج الناضرة

إنها لشيخة وحشية هذه الحكمة التي تقصد إنزال أعز مالديها
في مروج قلوبكم الناضرة
هكذا تكلم زارا .

فلبكس فارسى

(ينح)

وأفاق يوماً ، من نومه قبل انفلاق الفجر واستغرق في تفكيره
وهو ممدد على فراشه وتساءل قائلاً :

— لماذا أرعبني هذا الحلم الذي استفتت منه مذعوراً ؟
رأيت كأن ولداً يحمل مرآة ، اقترب منى وهو يقول :
— انظر في هذه المرآة يازارا

وما نظرت الى المرآة حتى صرخت وخفق قلبي خفوقاً
و شديداً . لأن ما انعكس لي في المرآة لم يكن وجهي بل وجهها
تقطبت أساريره بضحكة شيطان ساخر
والحق ما يفوتني تعبير هذا الحلم وإدراك ما نهبت اليه فان
تعاليمى مشرفة على خطر ، والزوان يريد أن ينتحل صفات الخنطة .
لقد استأسد أعدائي فشوهوا تعاليمى حتى أصبح أتباعى ينجحون
بما وهبتهم .

لقد فقدت صحى وأن لي أن أقتش عنى فقدت
وانتفض زارا لا كمن استولى الذعر عليه بل كما أخذ برؤى
وكشاعر هزه شيطانه . فوجم نسه وأفناه وحقاً بوجهه وقد
لاحت يواد السعادة عليه كتبشير الفجر . فقال لها :

— ماذا حدث لي ؟ أفا تريان انى تغيرت ؟ افا تحسان ان
الغبطة قد نزلت على كأنها عصفات الرياح ؟

لقد جن شعورى بهذه السعادة فلن يسلم ياني من اختلال هذا
الشعور ، ان سعادتي لم تنزل في حداتها فتدراعا بالصبر معى عليها
لقد أوجعتنى سعادتي فليكن أساق كل من أرهقتهم الأوجاع
إن في وسعى الآن أن أتحدر الى مقر صحى والى مقر أعدائي
فقد أصبح زارا قادراً على استطراد القول والاحسان الى من يجب
لقد أن لحى أن يتدفق كالذى يندفع من الأعلى الى الأعماق ،
ويتجه من الشرق الى المغرب .

إن نفسى تندفع مرغية مزبدة في الوديان متملصة من الجبال
الصامتة تصخب فوقها عواصف الآلام . ولطالما تعللت بالصبر وعلقت
أبصارى على بعيد الآفاق ، لقد أرهقتنى العزلة فما أطيق السكوت بعد
أصبحت وكأنتى بأجمعى فم أو هدير جدول يتحدر من
شائحات الصخور . أريد أن أقذف بكلماتى الى الأغوار . فيجرى نهر
حي في المفاوز البعيدة ، ولن يضل هذا النهر سبيله الى مصبه في البحار
ان في داخلي بحيرة وحيدة قانعة بنفسها ، غير ان نهر محبتي